سورة المرسلات

هى مكية إلا آية : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ » فمدنية .

وعدد آيها خمسون ، نزلت بعد سورة الهُمَزَة .

ومناسبتها لما قبلها — أنه هنا أقسم على تحقيق ماتضمنته السورة قبلها من وعيد الفجار ، ووعد المؤمنين الأبرار .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ؟ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ؟ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥) .

شرح المفردات

المرسلات : هم الملائكة الذين أرسلهم الله لإيصال النعمة إلى قوم ، والنقمة إلى آخرين ، عُرفا : أى للمعروف والإحسان ، والعاصفات : أى المبعدات للباطل كما تبعد العواصف التراب والتبن والهباء ، والناشرات : أى الناشرات لأجنحتهن عند نزولهن إلى الأرض ، فالفارقات فرقا : أى فالفارقات بين الحق والباطل ، فالملقيات ذكراً : أى فالملقيات العلم والحكمة إلى الأنبياء ، عذراً أو نذراً : أى للإعذار والإنذار ،

من قولهم : عذره إذا أزال الإساءة ، وأنذر إذا خوّف ، طمست : أى محقت وذهب نورها ، فُرِجت : أى فتحت وشقت ، نُسفت : أى اقتلعت من أماكنها بسرعة من قولهم : انتسفت الشىء إذا اختطفته ، أُقّتت : أى عيِّن لها الوقت الذى تحضر فيه للشهادة على أممها ، أجِّلت : أى أخرت وأمهلت ، الفصل : أى الفصل بين الخلائق بأعمالهم : إما إلى الجنة ، و إما إلى النار ، ويل : أى عذاب وخزى .

المعنى الجملى

أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة ، منهم المرسلون إلى الأنبياء بالإحسان والمعروف ليبلغوه للناس ، ومنهم الذين يعصفون ماسوى الحق ويبعدونه كما تبعد العواصف التراب وغيره ، ومنهم الذين ينشرون آثار رحمته فى النفوس الحية ، ومنهم الذين يفرقون بين الحق والباطل ، ومنهم الملقون العلم والحكمة للإعذار والإنذار من الله — إن يوم القيامة لاريب فيه ، وحين تمحق أنوار النجوم ، وتشقق السماء ، وتنسف الجبال ، ويعين للرسل الوقت الذى يشهدون فيه على أممهم ، ويفصل بين الخلائق إبّان العرض والحساب يكون الخزى والعذاب للكافرين المكذبين .

الإيضاح

(والمرسلات عرفا) أى أقسم بملائكتى الذين أرسلتهم بالإحسان والمعروف ، ليبلغوه أنبيائى ورسلى .

(فالعاصفات عصفا) أى فالملائكة المبعدين للباطل بسرعة كما تعصف الريح التراب والهباء .

(والناشرات نشرا) أى والملائكة الذين ينشرون آثارهم فى الأمم والنفوس الحية .

(فالفارقات فرقا) أى فالملائكة النازلين بأمر الله للفرق بين الحق والباطل ، والهدى والغىّ .

(فالملقيات ذكراً عذراً أو نذراً) أى فالملائكة الملقيات إلى الرسل وحياً فيه إعذار إلى الخلق ، وإنذار لهم بعقاب الله إن هم خالفوا أمره .

(إن ماتوعدن لواقع) أى أقسم بهذه الأقسام إن ماوُعدتم به من قيام الساعة لكائن لامحالة .

(فإذا النجوم طمست) أى فإذا ذهب ضوء النجوم ، ونحو الآية قوله : « وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ » .

(وإذا السماء فُرجت) أى وإذا السماء انفطرت وتشققت ، وهذا كقوله : « وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً » وقوله : « إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ » وقوله: « وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ » .

(وإذا الجبال نسفت) أى وإذا الجبال فرقتها الرياح ، فلم يبق لها عين ولا أثر، وهذا كقوله : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّى نَسْفاً » .

(وإذا الرسل أُقّتت) أى وإذا جعل للرسل وقت للفصل والقضاء بينهم وبين الأمم ، وهذا كقوله : « يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ » .

(لأىِّ يوم أُجِّلت؟) أى ويقال حينئذ : لأى يوم أخّرت الأمور المتعلقة بالرسل من تعذيب الكفار وإهانتهم ، وتنعيم المؤمنين ورعايتهم ، وظهور ما كانت الرسل تذكره من أمور الآخرة وأحوالها ، وفظاعة أهوالها .

والمراد بهذا تهويل أمر هذا اليوم وتعظيم شأنه ؛ كأنه قيل : أى يوم هذا الذى أجّل اجتماع الرسل إليه؟ إنه ليوم عظيم .

ثم بين ذلك اليوم فقال :

(ليوم الفصل) أى ليوم يفصل الله فيه بين الخلائق ، وهو اليوم الذى أجِّل اجتماع الرسل له .

(وما أدراك مايوم الفصل ؟) أى وما أعلمك بيوم الفصل وشدته وعظيم أهواله؟

ثم صرح بالمراد وأبان من سيقع عليهم النكال والوبال حينئذ فقال :

(ويل يومئذ للمكذبين) أى عذاب وخزى لمن كذب بالله ورسله وكتبه وبكل ماورد على ألسنة أنبيائه وأخبروا به .

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) .

شرح المفردات

من ماء مهين : أى من نطفة قذرة حقيرة ، فى قرار مكين : أى فى الرحم ، إلى قدر معلوم : أى إلى مقدار معيَّن من الوقت عند الله ، فقدرنا : أى على خلقه وتصويره كيف شئنا ، والكفات : مايكفت ، أى يضم ويجمع ، من كفت الشىء : إذا ضمه وجمعه ، وأنشد سيبويه :

كرام حين تنكفت الأفاعى إلى أجحارهنّ من الصقيع

رواسى : أى جبالا ثوابت ، شامخات : أى مرتفعات ، فراتا : أى عذبا .

المعنى الجملى

بعد أن حذر الكافرين وخوّفهم بأن يوم الفصل كائن لامحالة ، وأقسم لهم بملائكته المقربين ورسله الطاهرين بأنه يوم سيكون، وأن فيه من الأهوال مالايدرك كنهه إلا علاّم الغيوب — أردف ذلك بتخويفهم بأنه أهلك الكفار قبلهم بكفرهم فإذا سلكتم سبيلهم فستكون عاقبتكم كعاقبتهم ، وستعذبون فى الدنيا والآخرة ، ثم أعقبه بتخويفهم بنكران إحسانه إليهم ، فإنه قد خلقهم من ماء مهين فى قرار مكين إلى زمن معلوم ، ثم أنشأهم خلقا آخر ، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ، ليشكروا نعم الله عليهم ، فكفروا بها وأنكروا وحدانيته وعبدوا الأصنام والأوثان، ثم ذكرهم بنعمه فى الآفاق ؛ إذ خلق لهم الأرض وجعلها تضمهم أحياء وأمواتا ، وجعل فيها الجبال لئلا تميد بهم وجعل فيها الأنهار والعيون ، ليشربوا منها ماء عذبا زلالاً ، فويل لمن كفر بهذه النعم العظام .

الإيضاح

(ألم نهلك الأولين؟) أى ألم نهلك من كذب الرسل قبلكم، ونعذبهم فى الدنيا بشتى أنواع العذاب ، فتارة بالغرق كما حدث لقوم نوح ، وأخرى بالزلزال كما كان لقوم لوط إلى أشباه ذلك من المثلات التى حلت بالأمم قبلكم ، جزاء لهم على قبيح أعمالهم وسيئ أفعالهم ، و إن سننا فى المكذبين لاتبديل فيها ولا تغيير ، فاحذروا أن يحل بكم مثل ماحل بهم ، وتندموا ، ولات ساعة مندم .

(ثم نتبعهم الآخرين) أى ثم نحن نفعل بأمثالهم من الآخرين ، ونسلك بهم سبيلهم لأنهم فعلوا مثل أفعالهم .

وفى هذا من شديد الوعيد لأهل مكة ما لا يخفى .

ثم ذكر الحكمة فى إلحاقهم بهم فقال :

(كذلك نفعل بالمجرمين) أى إن سنتنا فى جميع المجرمين واحدة ، فكما أهلكنا المتقدمين لإجرامهم وتكذيبهم — نفعل بالمتأخرين الذين حذوا حذوهم ، واستنوا سنتهم ، فسننا تجرى على وتيرة واحدة .

(ويل يومئذ للمكذبين) أى هؤلاء وإن عذبوا فى الدنيا بأنواع من العذاب ، فالطامة الكبرى مُعَدّة لهم يوم القيامة ، والتكرير للتوكيد شائع فى كلام العرب كما تقدم فى سورة الرحمن .

وقال القرطبى : كرر الويل فى هذه السورة عند كل آية لمن كذب بشىء ، لأنه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم ، فجعل لكل مكذب بشىء عذابا سوى عذابه بتكذيب شىء آخر اهـ .

ثم ذكّرهم بجزيل نعمه عليهم فى خلقهم وإيجادهم مما يستدعى جزيلَ شكرانهم فقال :

(ألم نخلقكم من ماء مهين . فجعلناه فى قرار مكين . إلى قدر معلوم . فقدرنا فنعم القادرون ؟) أى ألا تعترفون بأنكم خلقتم من نطفة مذرة منتنة وضعت فى الأرحام إلى حين الولادة ، ونحن قد قدرنا ذلك فنعم المقدرون ، إذ خلقنا كم فى أحسن الصور والهيئات — أفلا يستحق ذلك الخالق منكم الشكران لا الكفران والاعتراف بوحدانيته وإرساله للرسل والإقرار بالبعث ؟ لكنكم كفرتم أنعُمَه ، ونكلتم عن الاعتراف بوحدانيته ، وعبدتم الأصنام والأوثان ، وأنكرتم يوم الفصل والجزاء ، فسترون فى هذا اليوم عاقبة ما اجترحتم .

(ويل يومئذ للمكذبين) أى خزى وعذاب لمن كذب بهذه المنن العوالى .

وبعد أن ذكرهم بالنعم التى أنعم بها عليهم فى الأنفس — ذكرهم بما أنعم عليهم فى الآفاق ، وأرشد إلى أمور ثلاثة :

(١) (ألم نجعل الأرض كفاتا . أحياء وأمواتا ؟) أى ألم نجعل الأرض مهاداً لكم ، فتكفتكم وتجمعكم فيها أحياء على ظهرها ، وأمواتا فى بطنها ، فالأحياء يسكنون فى منازلهم ، والأموات يدفنون فى قبورهم .

خرج الشعبى فى جنازة فنظر إلى الجبّان فقال : هذه كفات الأموات ، ثم نظر إلى البيوت فقال : هذه كفات الأحياء .

وكانوا يسمون بقيع الغَرْقد (مقبرة المدينة) كفتة لأنه مقبرة تضم الموتى .

(٢) (وجعلنا فيها رواسى شامخات) أى وجعلنا جبالا ثوابت عاليات على ظهرها ، لئلا تميد بكم .

وهذه الجبال متصلة بالطبقة الصوّانية التى هى أبعد طبقات الأرض عن سطحها وتلك الطبقة تضم فى جوفها كرة النار المشتعلة التى فى باطنها ، وظاهرها هذه القشرة التى نحن عليها .

(٣) (وأسقيناكم ماء فراتا) أى وأسقيناكم ماء عذبا فراتا تشربون منه ، إما آتياً من السحاب الذى حفظته الجبال بارتفاعها ، وإما من العيون النابعات منه ويمدها الثلج الذى يذوب شيئا فشيئا فوق ظهر الأرض متنزلا إلى بطنها ، متجها إلى عيونها الجارية .

(ويل يومئذ للمكذبين) أى عذاب عظيم فى الآخرة لمن كفر بهذه النعم .

انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ (٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) .

شرح المفردات

لاظليل : أى لايقى من حر الشمس ، والشرر : مايتطاير من النار ، كالقصر : أى كالدار الكبيرة المشيدة ، جمالة : واحدها جمل ، فكيدون : أى فاحتالوا علىّ ؛ يقال : كدت فلانا إذا احتلت عليه .

المعنى الجملى

بعد أن ذكر أن المكذبين بالله وأنبيائه واليوم الآخر العذابَ فى يوم الفصل والجزاء — بين هنا نوع ذلك العذاب بما يحار فيه أولو الألباب ، ويخرّ من هوله كل مُخْبت أوّاب ، فأخبر بأنهم يؤمرون بالانطلاق إلى ما كانوا يكذبون به فى الدنيا ، إلى ظلّ دخان جهنم المتشعب لكثرته وتفرّقه إلى ثلاث شعب عظيمة ، وهو لا يظلّهم ولا يمنع عنهم حر اللهب المتكوّن من نار ترمى بشرر ، كأنه القصر المَشِيد علوّا وارتفاعا ، وكأنه الجمال الصفر انبساطا وتفرقا عن غير أعداد محصورة ، وحركة غير معينة .

ولا شك أن هذا تشبيه على ما تعهده العرب إذا وصفت الأشياء بالعظم ، ألا تراهم يشبهون الناقة العظيمة بالقصر كما قال :

فوقفت فيها ناقتى وكأنها ... فَدَنٍ لأقضى حاجة المتلوِّم

ثم أخبر بأن الويل المكذبين بهذا اليوم ، يوم لاينطقون من شدة الدهشة والحيرة ، ولا يؤذن لهم فى الاعتذار فيعتذرون ، يوم يجمع الله الأولين والآخرين

فى صعيد واحد ، ويقال لهم على سبيل التأنيب والتقريع : إن كنتم تستطيعون أن تدفعوا عن أنفسكم شيئا من العذاب فهلمّوا .

الإيضاح

(انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون) أى يقول لهم خزنة جهنم حينئذ : اذهبوا إلى ما كنتم تكذبون به من العذاب فى الدنيا .

ثم بين هذا العذاب ووصفه بجملة صفات :

(١) (انطلقوا إلى ظلّ ذى ثلاث شعب) أى انطلقوا إلى ظل دخان جهنم المتشعب إلى ثلاث شعب : شعبة عن يمينهم ، وشعبة عن شمالهم ، وشعبة من فوقهم ؛ والمراد أنه محيط بهم من كل جانب كما جاء فى الآية الأخرى : « أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا » .

(٢) (لاظليل) أى ليس بظلّ فلا يقى من حر ذلك اليوم .

وفى هذا تهكم بهم ، ونفى لأن يكون فيه راحة لهم ، وإيذان بأن ظلهم غير ظل المؤمنين .

(٣) (ولايغنى من اللهب) أى ولا يدفع من حر النار شيئا ، لأنه فى جهنم فلا يظلهم من حرها ، ولا يسترهم من لهيبها كما قال فى سورة الواقعة : « فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ، لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ » .

ثم وصف النار التى تحدث هذا الظل من الدخان فقال :

(إنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر) أى إن هذه النار يتطاير منها شرر متفرق فى جهات كثيرة كأنه القصر عظما وارتفاعا ، وكأنه الجمال الصفر لونا وكثرة وتتابعا وسرعة حركة .

(ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم الذى لايجدون فيه لدفع العذاب عنهم محيصا .

ثم وصف اليوم الذى فيه العذاب فقال :

(هذا يوم لاينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون) أى هذا يوم لا يتكلمون من الحيرة والدهشة ، ولا يؤذن لهم فى الاعتذار ، لأنه ليس لديهم عذر صحيح ، ولا جواب مستقيم .

وقد يكون المراد — إنهم لاينطقون بما يفيد فكأنهم لاينطقون ، وتقول العرب لمن ذكر ما لايفيد : ماقلتَ شيئا .

(ويل يومئذ للمكذبين) بما دعتهم إليه الرسل ، فأنذرتهم عاقبته .

(هذا يوم الفصل) أى هذا يوم يفصل فيه بين الخلائق ، ويتميز فيه الحق من الباطل ، فيؤتى كل عامل جزاء عمله من ثواب وعقاب ، ويفصل بين العباد بعضهم مع بعض ، فيقتص من الظالم للمظلوم ، وترد له حقوقه .

ثم بين كيف يكون الفصل فقال :

(جمعناكم والأولين) أى جمعنا بينكم وبين من تقدمكم من الأمم فى صعيد واحد ليمكن الفصل بينكم ، فيقضى بهذا على هذا ، ولولا ذلك ما أمكن إذ لايقضى على غائب .

(فإن كان لكم كيد فكيدون) أى فإن كان لكم حيلة فى دفع العذاب عنكم فاحتالوا ، لتخلصوا أنفسكم من العذاب .

وفى هـذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا ، وإظهار لعجزهم وقصورهم حينئذ .

(ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث لأنه قد ظهر لهم عجزهم وبطلان ما كانوا عليه فى الدنيا .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ؟ (٥٠) .

شرح المفردات

ظلال : واحدها ظل ، وهو أعم من الفيء ؛ فإنه يقال ظل الليل وظل الجنة ، ولكل موضع لم تصل إليه الشمس ظل ، ولا يقال فيء إلا لما زالت عنه الشمس ، ويعبر بالظل أيضا عن الرفاهية ، وعن العزة ، وعيون : أى أنهار ، اركعوا : أى صلوا ، حديث : أى كلام .

المعنى الجملى

بعد أن بيّن سبحانه ما يحلّ بالكفار من الخزى والنكال يوم القيامة — أعقبه بذكر ما يكون للمؤمنين من السعادة والكرامة حينئذ ، فهم يكونون فى ترف ونعيم ويأكلون فواكه مما يشتهون ، ويقال لهم : كلوا واشربوا هنيئا بما قدمتم فى الأيام الخالية ، وهذا جزاء كل محسن لعمله .

ثم خاطب المكذبين مهدّدا لهم فقال : « كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً » ولا نصيب لكم فى الآخرة ، لأنكم كافرون .

ثم ذكر أن الكفار إذا أمروا بطاعة الله والخشوع له أبوا وأصروا على ما هم عليه من الاستكبار فويل لهم مما يعملون ، وإذا لم يؤمنوا بالقرآن والنبى الذى جاء به مع تظاهر الأدلة على صدقه ، فبأى كلام بعده يصدقون ؟

الإيضاح

(إن المتقين فى ظلال وعيون) أى إن المتقين فى ظلال ظليلة ، وكنّ كنين ، وعيون وأنهار، أى فى ظلال الأشجار وظلال القصور ، فلا يصيبهم أذى حرّ ولا قرّ، بخلاف الكافرين فإنهم فى ظل ذى ثلاث شعب لاظليل ولا يغنى من اللهب كما تقدم .

ونحو الآية قوله فى سورة يس : « هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ » .

(وفواكه مما يشتهون) أى ولديهم فواكه يأكلون منها كلما اشتهت نفوسهم لايخافون ضررها ولا عاقبة مكروهها .

(كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) أى ويقال لهم : كلوا أيها الأبرار من هذه الفواكه ، واشربوا من هذه العيون كلما شئتم أكلا هنيئا خالص اللذة ، لايشوبه سقم ولا يكدره تنغيص ، وهو دائم لكم لايزول ولا يورثكم أذى فى أبدانكم جزاء بما عملتم فى الدنيا من طاعة الله ، واجتهدتم فيما يقربكم من رضوانه .

(إنا كذلك نجزى المحسنين) أى إنا كما جزينا هؤلاء المتقين بما وصفنا من الجزاء على طاعتهم إيّانا فى الدنيا — نجزى أهل الإحسان لطاعتهم وعبادتهم لنا ، فلا نضيع لهم أجرا ، كما قال : « إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا » .

(ويل يومئذ للمكذبين) أى ويل للذين يكذبون ما أخبر الله به من تكريم هؤلاء المتقين بما أكرمهم به يوم القيامة .

ثم خاطب المكذبين مهدداً لهم فقال :

(كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون) أى كلوا بقية آجالكم ، وتمتعوا بقية أعماركم

وهى قليلة المدى ، وسنستنّ بكم سنة مَن قبلكم من مجرمى الأمم الخالية التى مُتعت إلى حين ، ثم انتقمنا منهم بكفرهم وتكذيبهم لرسلنا .

(ويل يومئذ للمكذبين) الذين عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل ، وكذبوا بما أخبرهم الله أنه فاعل بهم .

(وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أى وإذا قيل لهؤلاء المكذبين اعبدوا الله وأطيعوه واخشوا يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، استكبروا وأصروا على عنادهم .

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر ثقيفاً بالصلاة ، فقالوا لانحبوا (لانركع) فإنها سُبَّة علينا ، فقال عليه السلام « لاخير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود » .

وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه قال : إنما يقال هذا فى الآخرة حين يُدعوْن إلى السجود فلا يستطيعون ، من جرّاء أنهم لم يكونوا يسجدون فى الدنيا .

(ويل يومئذ للمكذبين) بأوامر الله ونواهيه .

وبعد أن بالغ فى زجر الكفار بما تقدم ذكره ، وحث على الانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجيب من هؤلاء المشركين الذين لم يسمعوا نصيحة الداعى ، ولم يتبعوا عظاته ، وما فيه رشدهم وصلاحهم فى آخرتهم ودنياهم فقال :

(فبأىّ حديث بعده يؤمنون ؟) أى إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل على تجلّيها ووضوحها ، فبأىّ كلام بعد هذا يصدقون ؟

فالقرآن الكريم جامع لأخبار الدارين ، مبين لأحوال النشأتين على نمط بديع تؤيده الحجج القاطعة ، وتدعمه البراهين الناطقة .

وقصارى ذلك — إن القرآن قد اشتمل على البيان الشافى والحق الواضح ، فما بالهم لايبادرون إلى الإيمان به قبل الفوت وحلول الموت ، وعدم الانتفاع بعسى ولعلّ وليت .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله أجمعين .

ما اشتملت عليه السورة الكريمة من المقاصد

حوت هذه السورة المقاصد الآتية :

(١) الإخبار بأن يوم الفصل آت لاشك فيه ، وقد أكد ذلك بالقسم بملائكته الكرام .

(٢) وعيد الكافرين بأنه سيستن بهم سنة الأولين من المكذبين .

(٣) توبيخ المكذبين على نكران نعم الله عليهم فى الأنفس والآفاق .

(٤) وصف عذاب الكافرين بما تشيب من هوله الولدان .

(٥) وصف نعيم المتقين وما يلقونه من الكرامة فى جنات النعيم ، ويتخلل ذلك وصف خلق الإنسان والأرض والجبال ، وبيان عظمة الخالق وكمال قدرته .

وصل ربنا على عبدك ورسولك محمد النبى الأمى وعلى آله وسلم .

وكان الفراغ من مسودَّة هذا الجزء بمدينة حلوان من أرباض القاهرة قاعدة الديار المصرية فى الثانى من ذى القعدة من السنة الخامسة والستين بعد الثلثمائة والألف من الهجرة النبوية المباركة ، فلله الحمد والمنة .